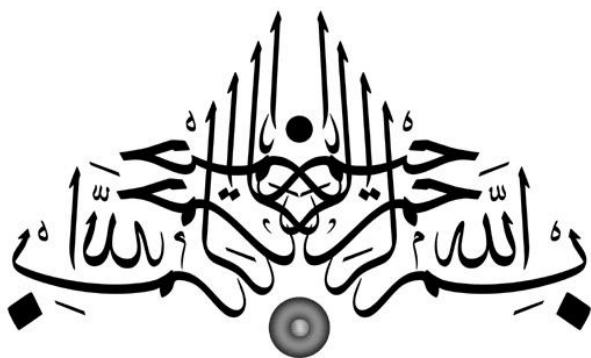






الطبعة الأولى

اسم الكتاب : العولمة الثقافية

المؤلف : سماحة العلامة الشيخ عبداللطيف الشبيب قدس

الناشر : شبكة مزن الثقافية

تاريخ النشر : ١٤٢٦ - ٢٠٠٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بقلم الأستاذ بدر الشبيب

مثل كثير من المفاهيم التي تخرج من دهاليز السياسة يأتي مفهوم العولمة غير محدد المعالم مما يجعل الاتفاق على تعريف جامع مانع له أمرا في غاية الصعوبة .

ومن المناسب في هذا المقام أن نذكر الوصف الذي استحسنه كثيرا الدكتور نبيل علي في كتابه (الثقافة العربية وعصر المعلومات) ، حين نقل بإعجاب ما فعله روند لوبرز رئيس وزراء هولندا الأسبق " حيث أوجز فأوفى بعرضه ظاهرة العولمة في صورة مصفوفة رباعية (مصفوفة : ٢ X ٢ كما أطلق عليها) ويقصد بذلك أن ظاهرة العولمة قد أحدثها محركان أوليان ، أديا بدورهما إلى متحركين أو ناتجين .

أ) المحرك الأول : الابتكار التكنولوجي في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أساسا .

ب) المحرك الثاني : سيطرة الليبرالية الجديدة ، ويقصد بها انتصار أيديولوجية اقتصاد السوق الحر والنمط الاستهلاكي وإعلام الترفيه والخصخصة وما إلى ذلك .

وتُقدم الديمقراطية في هذا الإطار كتوأم لاقتصاد السوق الحر ، والذان يكوّنان معا استراتيجية النموذج الغربي للرأسمالية في صياغته الأمريكية .

أما النتيجةان فهما □ :

أ) النتيجة الأولى : تقلص سيادة الدولة وتهميش دورها .

ب) النتيجة الثانية : ردود الفعل أو العولمة المضادة من قبل الجماعات والمؤسسات ، سواء تحت دوافع عرقية أو دينية أو اقتصادية أو سياسية أو لغوية أحيانا " .

إن العولمة بهذا المفهوم تعني بالتحديد تعميم النموذج الأمريكي على كافة المجتمعات ، أي أمركة العالم .

أما العولمة الثقافية فهي حسب تعبير الدكتور عبد الإله بلقزيز " فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات . إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف - المسلح بالتقانة - فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة " .

وفي بحثه القيم (العولمة والهوية الثقافية : عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة) المنشور في كتاب (العرب والعولمة) الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية يطلق بلقزيز على ثقافة العولمة : ثقافة ما بعد المكتوب . ويعني بذلك الثقافة التي تعتمد الصورة مادة ثقافية قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي وإعادة تشكيل الوعي والوجدان والذوق . ويقرر في هذا البحث ما ستفعله هذه الثقافة قائلاً " ستغدق ثقافة العولمة على الجسد ما سيفيض عن حاجته من الإشباع تماماً مثل جدتها العولمة الاقتصادية ، غير أنها ستقتل الروح وتذهب بالمحتوى الأخلاقي والإنساني لسلوك الناس . أليس مرعباً أن يصبح التلفزيون المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي تقوم - وظيفياً - مقام الأسرة والمدرسة ؟ "

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا : هل العولمة ظاهرة حتمية ؟ لقد انبرى بعض الكتاب لترديد مقولة مفادها أن العولمة سيرورة تاريخية حتمية لا يمكننا بحال من الأحوال أن نقف في طريقها . وهذا القول يتضمن اعترافاً صريحاً بالعجز عن مواجهة هذه الظاهرة ، وهو أمر في غاية الخطورة لأنه يقتضي الاستسلام التام للآخر ودفن قوى الممانعة التي يمكن أن تسهم في تحصين الأمة .

بالإضافة لذلك ، فهو قول يغفل قوانين علم اجتماع الثقافة التي تقول بأن الثقافات يمكنها أن تقاوم السيطرة الثقافية من الآخرين بطريقة فعالة وإيجابية خاصة إذا كانت تمتلك عوامل ذاتية تتسلح بها في مواجهة الآخر ، وتستفيد في الوقت نفسه من المنتجات الحضارية المتطورة التي تسخرها الحضارة المسيطرة .

إننا في العالم الإسلامي مدعوون أكثر من أي وقت مضى إلى تجديد ثقافتنا لتستجيب لحاجات العصر ومتطلباته .
ولتحقيق ذلك نحتاج إلى :

١ معرفة واعية بذاتنا وبنيتها ، وما تختزن من طاقات أو معوقات .

٢ وضع الاستراتيجيات الواضحة والخطط الكفيلة باستغلال طاقات الأمة إلى أبعد مدى .

٣ تأسيس مجتمعات مدنية تمارس دورها الحضاري في جو من الحرية والوئام الاجتماعي ، لتقديم النموذج الإسلامي العملي البديل للعالم كافة.

٤ ممارسة النقد الذاتي لمعرفة جوانب القوة والضعف الحقيقية لتقدم الأمة ، وهذا النقد ينبغي أن ينبني على

أسس علمية سليمة ، وأن يستخدم الأدوات المنهجية الحديثة في العلوم الإنسانية.

٥ تجديد خطابنا الثقافي بصورة مستمرة ليكون مؤهلاً لمواجهة خطاب الآخر ، أو على الأقل تحسين شروط وظروف المنافسة معه .

لقد حمل سماحة الشيخ عبد اللطيف الشيب رحمته الله هم تجديد الخطاب الديني ، وألف سماحته مجموعة من الكتب القيمة في هذا المجال بالاشتراك مع سماحة الشيخ محمد العليوات . والمحاضرة التي بين يدينا شاهد على ذلك النهج ، وقد ألقاها سماحته في شهر شعبان ١٤٢١ هـ في احتفال أقيم بمناسبة المبعث النبوي على صاحبه وآله أفضل الصلاة والسلام ، ونستطيع من خلالها أن نتبين بعض الملامح التي تشكل شخصيته الفكرية :

أولاً : إيمانه العميق بقدره الدين الإسلامي على إنتاج وإبداع الحلول لمشاكل العصر .

ثانياً : غيرته الشديدة على الدين ، ووقوفه الجاد أمام محاولات تغريب الأمة .

ثالثاً : نظرته العميقة للأمور ، وقدرته الفذة على تشخيصها اقرأ قوله "إن العولمة الثقافية هي النافذة الأهم في موضوع العولمة "

رابعاً : احترامه للعلم والنقاش العلمي ، فهو يقول " ولا نغني هنا
بالشك الشك العلمي والشك المنهجي الذي يقوم على أسس
وثابت علمية وضمن الحوارات العلمية ، ذاك بداية اليقين "
خامساً : اهتمامه بالمواضيع المستجدة على الساحة الإسلامية
سادساً : رؤيته التي لا تتزعزع في كون الحل الأمثل لمشاكل
الأمّة بعودتها إلى كتاب الله وعترته نبيه .
هذه ملامح ستة ، وربما هناك أخرى .

أخيراً أتركك عزيزي القارئ مع الوريقات التالية التي تمثل
الكراس الثاني في سلسلة (تأملات في الفكر والثقافة) التي
بدأها سماحة الشيخ بـ (المثقف وأمانة الكلمة) ، وكان يأمل
مواصلة مشروعه التجديدي .

وآمل أن نستفيد من إنتاج هذا العالم الجليل ، سائلاً المولى أن
يتغمده بواسع الرحمة والرضوان .

العولمة الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

ونحن نعيش ذكرى المبعث النبوي على مبعوثه وآله أفضل الصلاة والسلام ، وذكرى مواليد أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم ، ندخل هذا العام ما اصطلح على تسميته بالألفية الثالثة ، والمعلم البارز في هذه الألفية الذي جعل عنوانها لها هو النظام العالمي الجديد ، أو ما اصطلح على تسميته بعصر العولمة .

حري بنا ونحن نعيش ذكرى المبعث النبوي الشريف أن نقف قليلاً على معالم هذه الألفية وعلى موضوع العولمة لنرى أنفسنا في أي زاوية من زوايا خارطة هذا العالم ، وما الذي يراد بنا وما الذي يخطط لنا أو علينا حتى نقف على أرض صلبة نتجاوز من هذه الوقفة معالم هذا التيه الذي تعانيه الأمة الإسلامية ، وحري بنا أيضاً أن نقف عند موضوع رئيس هو موضوع العولمة وتحديداً موضوع العولمة الثقافية .

قد يقول قائل لماذا الحديث عن العولمة الثقافية تحديداً ؟ لماذا ننأى بأنفسنا عن الحديث في العولمة السياسية أو الاقتصادية ، وهل العولمة الثقافية إلا جزء من منظومة عامة تشمل السياسية والاقتصادية والثقافية ؟ والحقيقة إن العولمة الثقافية هي النافذة

الأهم في موضوع العولمة وهي الخطر الأعظم إذ إنها مفتاح العولمة السياسية والاقتصادية ، فقبل أن تكون هناك عولمة سياسية واقتصادية ينبغي أن تكون هناك عولمة على صعيد الفكر والثقافة ، وما لم يخترق هذا الجدار في أي أمة من الأمم ، وما لم تسلب هذه الأمة ثقافتها وفكرها فلن يكون هناك مدخل سياسي أو اقتصادي.

والعنوان الأساسي في العولمة والخطر الذي ينبغي أن ننتبه إليه هو الموضوع الثقافي ، وتحديد الموضوع الفكري ، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الحضارات لكي تبقى قوية وصامدة وفي مراكز الصدارة ينبغي لها أن تحارب عدوًّا ما ، فإذا كان هناك عدو حقيقي للحضارة فيها ، وإلا فمن عادة المنظرين والقائمين على هذه الحضارة أن يخترعوا عدوًّا لهم كي يفلسفوا ويبرروا حربهم تجاه الآخر .

□□□□□□ بالأمس القريب كانت المنظومة الشرقية هي العدو الواضح للمنظومة الغربية وبالتالي كان الغرب طيلة عقود ممتدة يفترض في الشرق الشيوعي عدوًّا ، فذلك الكم الهائل من الإنفاق على التسليح وعلى حرب النجوم وغيرها كان بلحاظ أن هناك عدوًّا حقيقياً .

واليوم وبعد انهيار هذه المنظومة تتوجه أنظار العالم الغربي إلى العدو الجديد باصطلاحهم ، أو العدو الأخضر باصطلاح آخر ، بعد أن تفرغوا من العدو الأحمر ، وانصبت جهودهم لمحاربة العدو الأخضر ، وهو الدين الإسلامي ، ويراد من هذه الحرب سواء كانت حقيقة ، أعني سواء كان الدين الإسلامي يشك ل حقيقة أو لا يشكل ، فالهم عندهم أن يخترعوا عدوا لكي يبقوا ولكي يبرروا حربهم الجائرة على هذا الدين ولكي يبرروا هذا الانفاق وهذه العنجهية ، لابد أن يروا أن الدين الإسلامي عدوا لهم ، ومن ثم نحن كمسلمين لا نعيش كما يتهمنا البعض عقدة المؤامرة ، وأن تأمر الآخرين علينا ادعاء فارغ لا حقيقة له . هذه حقيقة واضحة تمتد من الحروب الصليبية إلى يومنا هذا ، ولا يمكننا أن ننام ونسلم جد لا أن الآخر يحترم هذا الدين وأن الآخر يريد لهذا الدين أن يتعايش معه ، قد يقول بعضهم هاهم أرباب هذه الحضارة يشيدون بهذا الدين ويفخرون بوجود أقلية لهذا الدين بين ظهرانيهم ، لكني أقول إن هذا وجه واحد من وجوه القضية ، هنالك عدة مظاهر تبين أن هذا الدين يشكل بالنسبة إليهم عدواً يحتاج إلى محاربة وحين تطرح قضية العولمة ويطرح النظام العالمي الجديد وليس هناك من سد يقف أمام نظام العولمة الجديد سوى هذا الدين

بما يحمل من فكر وبما يحمل من رؤى وبما يحمل من حضارة وهو المرشح ليكون سداً أمام هذا النظام الجديد ، فلا بد حينها أن يتنبه له القائمون على هذا النظام .

لاخ تصار الحديث ، باعتبار أن هذا الموضوع متشعب أقرأ بعض النقاط التي تعتبر أو تشكل مدخلا لتحقيق العولمة الثقافية ، والتي ينبغي أن نتنبه لها حتى نفهم الخطوات التي يريد بها الآخر صياغة العالم الجديد الذي يشبهه بعض المفكرين بالأعور الدجال الذي لا يرى إلا بعين واحدة ، و الذي يريد العالم على سمت واحد وطريقة واحدة ، يريد أن يصهر العالم بكل ثقافته وبكل أفكاره ليكون فكراً واحداً ، وليته الفكر الأصح ، إنه فكر القوي ، فكر المهيمن .

معالم العولمة الثقافية

أولاً تشكيك كل منتمٍ لهذا الدين في أصول الدين وثوابته :
نظرة بسيطة إلى الإعلام في هذه السنوات المتأخرة أن تجد لا شغل لهذا الإعلام بأجهزته وأقنيته الفضائية سوى تشكيك الأمة في ثوابت هذا الدين وفي أصوله ، طبعاً بلسان قد يقبله البعض وبطريقة قد تتطلى على كثيرين ، والمطلوب أن لا تكون هناك ثابتة خارج الجدل وخارج النقاش ، تحت عنوان البحث الحر وتحت عنوان الرأي الآخر وتحت عناوين

معسولة متعددة ، فإذا كان لله - بتعبير معاوية - جنود من غسل فهذا هو الجند الجديد والغسل الجديد الذي من خلاله تطرح هذه القضية في الإعلام ، وبهذه الطريقة يريد الإعلام أن يشكك هذه الأمة بثوابتها ، فأنت كمنتم لمذهب أهل البيت عليهم السلام بدأت تسمع حتى من بعض المنتمين لهذا المذهب تشكيكاً في كثير من الثوابت ، نسمع مثلاً تشكيكاً في الإمامة داخل المنظومة الشيعية كيف يدعي شيعة التشكيك في هذه المفردة العظمى الذي يكون أساسها مذهب أهل البيت ، ويأتي لنا شخص من آخر الدنيا ليتحدث لنا عن مذهب جديد تحت عنوان المذهب الأحد عشري كأن المذاهب بالاختراع .

ذاك يشكك في وج ود الإمام الغائب وهذا يشكك في النص على أمير المؤمنين وثالث يشكك في العصمة وهكذا دواليك لا تبقى مفردة وثابتة من ثوابت هذا المذهب بل ثوابت هذا الدين إلا وهي عرضة للنقاش والجدل .

وليتها تطرح بصورة علمية وفي الأماكن العلمية التي تناسب البحث ، بل بدأت تطرح في كل مكان وفي كل زمان بحيث يشكك كل ضعيف نفس وضعيف معتقد بمبدئه وبفكره .

الخطوة الأولى لكي تنتمي لهذا العالم الجديد بثقافته ومنظومته الجديدة أن تشكك أنت في ثوابتك ، كيف تستطيع أن تتعايش مع ثقافة الواحد وثقافة الآخر وأنت تمتلك ثقافة بهذه الرصانة ، وأنت تمتلك فكراً بهذه القوة ، الخطوة الأولى إذ أن نشكك في ثوابتنا وفي أصولنا ولا نعني هنا بالشك الشك العلمي والشك المنهجي الذي يقوم على أسس وثوابت علمية وضمن الحوارات العلمية ، فذلك بداية اليقين ، أما الشك الذي يشاهد على هذه الألفية وأجهزة الإعلام شك يراد منه تشكيك المنتمين لهذا الدين وهذا المذهب بأصولهم وثوابتهم بحيث لا تكون هنا مفردة أو فكرة خارج الجدل ، كل شيء قابل أن يكون وألا يكون ، فعلى أي أساس تريد أن تتكئ هذه الأمة في نهضتها إذا كانت لا تمتلك ثوابت تتطلق على أساسها؟ وما الذي يشكل مقياس حضارة الأمة وفكرها وثوابتها إذا كانت ثوابتها عرضة للجدل وعرضة للنقاش.

ثانياً: إقصاء الدين من دوائر التشريع والتقنين في البلاد الإسلامية

وقد أشرنا إليها غير مرة في الحديث عن العولة في النظام العالمي الجديد ، وه ي إقصاء الدين من دوائر التشريع والتقنين في البلاد الإسلامية ، حيث يراد أن لا يكون لهذا الدين وجود قانوني ، ولعلنا أشرنا في غير مكان عن حركة

الأحوال الشخصية في كثير من بلاد العالم الاسلامي ، تلك الحركة التي تريد أن تطرد هذا الدين من دائرة التشريع في الأحوال الشخصية ، المعقل الوحيد والأخير الذي بقي هذا الدين محافظاً فيه على دائرة التقنين والتشريع . في لبنان يطرح الزواج المدني ، وللب إقصاء الدين - سواء كان ديناً إسلامياً أو مسيحياً - إقصاءه من دائرة التشريع الشخصي بحيث يتزوج من المسلمين من يشاء وتتزوج المسلمة ممن تشاء.

قبل زمن أثير هذا الموضوع وهو الزواج الم دني وطرح وبعده أقيم احتفال عام في القاهرة بمناسبة مرور مئة عام على تحرير المرأة العربية بلحاظ قاسم أمين وفي نفس الفترة في القاهرة والمغرب طرح من جديد قانون الأحوال الشخصية والرغبة في تبديله ، وإذا أبعد الدين عن هذه الدائرة التي لم يستطع حتى المستعمر للبلاد الإسلامية إقصاءه عنها فما الذي سيبقى لهذا الدين ؟ اليوم هناك محاولات في البلاد الغربية ذات الأقليات الإسلامية لكي تحكم في دائرة الأحوال الشخصية بقانون الإسلام في حين أننا نرى في كثير من الدول الإسلامية محاولات من بعض المحاولين للحاق بركاب وقطار العولمة إلغاء الدين عن دائرة التشريع والقانون في الأحوال الشخصية ، فإذا كان الدين في الإطار الشخصي مغيباً لا يحكم الإنسان في

حركته الشخصية فهل سيطالب بحكومة الدين في موضوع الإقتصاد ، أو في الموضوع المجتمعي بصورة عامة ؟ هي أيضاً خطوة أخرى لكي يفرغ هذا المجتمع وهذه الأمة من انتمائها لهذا الدين ، إذ العنصر الذي يربط كثير من الناس ، حتى غير المتدينين ، بهذا الدين هو التزامه م بالأحوال الشخصية وقانون الأحوال الشخصية الديني ، فإذا فرغ هذا من الأمة لن يبقى رابط يربط الناس بدينهم .

ثالثاً : استلاب الذات

ونعني به ما أشار اليه كثير من المفكرين قبل ثلاثين عاماً . الآخر لكي تلحق به لا بد له من أن يحس ذاتك ، لا بد له من أن يفرغك من إرادتك ، لا بد له أن يسلبك هذه الذات . لاحظوا أن كثيراً من المفكرين في الشرق الآسيوي كان يحذر هذا الشرق من قضية اللباس ويشير الى أن الخطوة الأولى لاندماجنا مع الآخر هو لباسنا . المسيحية حين دخلت الشرق الآسيوي كان عنوان الدخول هو لباس المنتمي . فالبوذي له لباس يخصه والذي اندمج مع الديانة المسيحية له لباس يخصه ثم تنتقل خطوة أخرى إلى الأكل والشرب . اليوم يتدخل الآخر حتى في طريقة شربنا و أكلنا ، تلبس كما يلبسون ، وتشرب كما يشربون ، وتستهلك مما يستهلكون ، وتأكل من مطاعم

الوجبات السريعة فتبتلى بالبرجر والب يتزا هت والماكدونلرز وكل هذه المفردات لكي تكون مستهلك ا جديداً ضمن دائرة الآخر . من هنا نؤتى ، فلكي تلتحق بقطار العولمة لا بد أن تفعل ذلك ، لباسك هذا س يكون عيباً عليك في ضمن هذا النظام العالمي الجديد ، وأكلك هذا سوف يكون عيباً عليك . في كثير من البلاد الإسلامية أيام الاستعمار ح ورب بالأكل و الشرب و اللباس لأنه كان يدل على إرادة الأمة و الناس ، أما الطريق الأول للانتماء إلى الآخر فكان عبر اللباس والشرب ، وفي فترة من الفترات كان فقهاؤنا يفنون بحرمة لبس ربطة العنق ، والسبب أنه يدخل تحت عنوان التشبه ، وعنوان التشبه أساساً ما جاء به هذا الدين إ لا لكي يحفظ لهذه الأمة هويتها ولكي تكون أمة متميزة ، فإذا كانت الأعاجم تقوم لساتتها وكبرائها ينهى الرسول ﷺ في وقت من الأوقات أن يقوم الناس له (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعضهم البعض)^١. إذا كان هذا ال لباس مؤشراً و عنواناً على الانتماء لآخرين فأنا أرفض هذا ال لباس ، إذا كان استهلاكه لهذه السلعة يعني بعدي عن محيطي وعن انتمائي للآخر ينبغي لي أن أرفض هذا ال لباس وهذا الأكل وهذا

^١ (بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٤٠)

الشرب . الآخر يريد أن يسلبك ذاتك بحيث لا ترى في نفسك شيئاً في مقابله هو، ويرى الواحد منا نفسه ريشة في مهب الريح تتقاذفها أفكار الآخر وطرق الآخر وإرادة الآخر تارة بالعنوان العسكري ، وتارة بالعنوان السياسي ، وثالثة بالعنوان الاقتصادي .

فالمهم أن لا يدخل الآخر لهذه الذات ، وعلينا أن نبني ذواتنا .

رابعاً : الرابع من هذه المعالم :

حين يربط الآخر بين موضوع العولمة الثقافية والعولمة الاقتصادية والسياسية لا نشكك هنا بخطر العولمة السياسية الاقتصادية ، لكن نقول المدخل لإبعادنا عن هذه الأمة وانتمائنا للامة الأخرى هو الثقافة والفكر ، ولكي يستقطبك الآخر إلى ثقافته وفكره يلج إليك من باب السياسة والاقتصاد ، فأنت لاشيء سياسياً ، وأنت لا شيء اقتصادياً إذا لم تلتحق بركاب العولمة بطرفيها السياسي والاقتصادي وبالتالي لا يمكننا - حسب تعبير بعض الكتاب السعوديين - الالتحاق بقطار العولمة سياسياً واقتصادياً ما لم نلتحق به ثقافياً .

الثقافة في هذا النظام العالمي الجديد عادة في أذهان كثيرة جسر لاقتصاد السوق الحر والسياسة بثوبها الجديد ، بينما لا يكون هناك أي ربط ، الآخر يريد أن يربط صندوق النقد

الدولي ومنظمة التجارة العالمية ية وغيرها بالثقافة ، يريد أن يفرض على كثير من الأمم أنه ما لم تلتحق ثقافياً فلن تلتحق اقتصادياً وسياسياً ، ولكي يقرض صندوق النقد الدولي دولة من الدول شيئاً يفرض عليها مجموعة من الشرائط التي تعود في النهاية إلى تدخل سياسي بل ثقافي في إرادة تلك الدولة . إذن هذه خطوات أربع قد تكون الأهم ، ولا أعني بذلك حصر العولمة الثقافية في هذه النقاط ، ولكن قد تكون الأهم في سياق إرادة الآخر لصياغة هذا النظام العالمي الجديد ، وإرادة الآخر لسحق هذه الأمة وهذا الدين لكي يعود المنتمون إلى هذا الدين وهذه الأمة مجرد أشخاص يقتاتون على فتات ما يريده الآخر ، والخطر كل الخطر أن تختفي من ذاكرتنا ثقافتنا وثوابتنا وأن يسلبنا الآخر إرادتنا وذاتنا .

كيف نقاوم العولمة ؟

- ١- نؤكد أولاً على أن هذا الدين خاتم الأديان {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} ^١ .
- الله جل وعلا تكفل أن يظهره على الدين كله ، وبالتالي شئنا أم أبينا ، أردنا أو لم نرد ، وقفنا بجانب هذه الفكرة أو

^١ (التوبة آية ٣٣)

لم نقف ، هذا الدين سيظهر ، فاختر أن تكون ممن يظهر الله به دينه ، أو تكون ممن يرتد على عقبيه والعياذ بالله .
ولن يضر الله شيئاً من يرتد عن هذا الدين ، والارتداد أطيايف وأنواع ، ولن يغني الله شيئاً من يتمسك بهذا الدين .
الله جل وعلا سيظهر هذا الدين وسيمكن هذه الثقافة ،
سيمكن هذا الفكر لكي يحكم العالم اليوم أو غداً أو بعد غد ، وإن غداً لناظره قريب ، إذا لم ي ظهر هذا الدين على الدين كله على أيدي المؤمنين بالامام الغائب عليه السلام سيظهره الله على يد الإمام الغائب ذاته ، فخير لنا أن نكون ممن يلتحق بهذا الإمام في غيبته لكي نكون مؤهلين للالتحاق به في ظهوره عليه السلام.

٢- علينا أن نفرق بين ثقافة العولمة وعولمة الثقافة فالآخر يريدنا أن نمزج هاتين المفردتين عندما يقول : لكي تستفيدوا من ثقافة العولمة عليكم أن تقرؤا بعولمة الثقافة ، وهما أمران منفصلان إذ يمكن للإنسان أن يستفيد من ثقافة العولمة ، من مفردات العولمة ، من إنتاجيات النظام العالمي الجديد ، لكنه محتفظ في ذات الوقت بخصوصيته .

تركب السيارة لكنك لست مضطراً أن تلبس مما يلبسون ولا أن تأكل مما يأكلون ، تحتفظ بخصوصيتك في الثقافة

والدين والفكر وتأخذ من منتجات الحضارة الجديدة والوافدة ما يتلاءم مع هذا الدين ومع هذه الثقافة ، وليس هناك تضاد بين إيماننا وخصوصيتنا وثقافتنا وديننا ، وبين إيماننا بأننا نستطيع الاستفادة مما يفد علينا .

٣- لكي نخرج من هذا التيار ونستطيع الوقوف على أرجلنا في مقابل هذه الحملة الجديدة ، ولكي نحفظ بخصوصيتنا في ظل نظام يريد أن يعصر الجميع ضمن ثقافة واحدة علينا أن نعود بجذورنا وصدقنا إلى المصدرين الأساسيين في منظومة ثقافة هذه الأمة ونعني بذلك كتاب الله سبحانه وتعالى وعترته نبيه ﷺ ، الثقلين اللذين خلفهما الرسول ﷺ ، ثقل نزل عليه يوم مبعثه الشريف ، وثقل خلفه يوم وفاته في قوله (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)^١ .

لن يكون لنا خلاص دون هذين الثقلين ، ولن تكون هذه الأمة قادرة على الوقوف في وجه الآخر ما لم تستتبثقافتها ومالم تتكئ اتكاء حقيقياً وصادقاً على هذين الثقلين ، ومع الأسف الشديد إن الأمة ومنذ وفاة النبي ﷺ ما راعت حقوق الله في هذين الثقلين ، أما الثقل الأكبر فحرف ، ولا يعني بذلك

^١ (حديث الثقلين ، نجم الدين العسكري ص ٧ .

التحريف المصطلح ، بل يعني أن تقرأ شيئاً وتحرف معناه إلى شيء آخر فهذا نوع من التحريف .
والثقل الأصغر ظلموا منذ وفاة الرسول ﷺ ، ولا تزال ظلامتهم إلى يومك هذا . بالأمس القريب تطالعنا إحدى المجلات عن تحقيق حول الروح التي تدب في هذه الأمة وتجعل من بعض غير المعتنقين مذهب أهل البيت يعو دون إلى مذهب أهل البيت لأنهم وجدوا فيه صدق الانتماء ، لا لأنهم يعيشون حالة إحباط من عالمهم الذي يعيشونه ، ولا لأنهم - كما يعبر رئيس جبهة علماء الأزهر - لا يفرقون بين العمى والعلماء . لقد فرقوا بين العمى والعلماء ، وعرفوا أن هذا الدين من هنا يؤخذ (شرقاً أو غرباً) لن تجدوا علماً صحيحاً إلا شيئاً وخرج من عندنا أهل هذا البيت^١ فليذهب الحكم يميناً وشمالاً ، فالرسول ﷺ حين فارق هذه الأمة جسماً أودع فيها هذين الثقلين لكي تكون آمنة يوم القيامة بعد أمنها في الدنيا .

□ في الحديث عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : "أيها الناس إنكم في زمان هدنة وأنتم على

^١ (اختيار معرفة الرجال ج ٢ الشيخ الطوسي ، ونص الرواية : عن أبي مريم الأنصاري ، قال ، قال لي أبو جعفر عليه السلام : قل لسلمة بن كهيل والحكم بن عيينة شرقاً أو غرباً لن تجدوا علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل هذا البيت .

ظهر السفر والسير بكم سريع فقد رأيتُم الليل والنهار والشمس والقمر يلبيان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتیان بكل موعود ، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز فقام مقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله فما تأمرنا نفعل ؟ قال إن ها دار بلاءٍ وابتلاء وانقطاع وفنا فإذا التبتست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مُشفع وماحل مصدق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، ومن جعله الدليل يدلّه على السبيل وهو كتاب تفصيل وبيان تحصيل ، وهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن ، وظاهره حكم الله وباطنه علم الله تعالى ، ظاهره وثيق وباطنه عميق ، له نجوم وعلى نجومه نجوم ، لا تحصي عجائبه ولا تبلى غرائب ، فيه مصابيح الهدى ومنازل الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف النصفة ^١ .

إلى غير ذلك من الروايات التي تؤكد على وجوب التمسك بالكتاب إذا التبتست الأمور وعشنا هذه الأحوال التي في واقع الأمر إذا أخرج الإنسان يده فيها لم يكدرها ، لأنه يعيش في ظلمات فوقها ظلمات.

^١ (بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ج ٧٤ ، ص ١٣٤ .

□ كان بودي أن أسترسل في الكثير من هذه الأحاديث التي تؤكد على هاتين النقطتين ونحن نعيش شهر شعبان ويتلوه شهر رمضان، شهر شعبان شهر النبي وآل النبي عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وبذلك علينا أن نقف فيه وقفة صادقة لنرى مدى تمسكنا بهذه العترة التي تشكل التطبيق الحقيقي والقدوة {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} ^١

^١ (الأحزاب آية ٢١ .

هدي الأئمة وتيه العولة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا
محمد و آل بيته الطاهرين ...نلتقي هذه الليلة المباركة في رحاب
كريم أهل البيت عليه السلام الإمام الحسن الزكي عليه السلام ، الإمام
الذي أنزل الليلة على هذا الكون فأشرق بنوره تالياً آيات فيضة
المفصلات مرتلاً سور جماله المحكمات ...

السلام عليك يا مولاي يا صاحب الخلق العظيم و الشرف
العظيم و رحمة الله و بركاته ...

أيها الإخوة الحضور نستضيف في هذه الليلة سماحة الشيخ
عبد اللطيف الشبيب و هو غني عن التعريف ، هذه الندوة
بعنوان - بين هدي الأئمة و تيه العوالة - سنحاول أن نقرب من
هذين المصطلحين لنبحث في النهاية عن طريق يخرجنا من
ظلمات العوالة إلى نور الإمامة و في البدأية و بعد الترحيب
بسماحة الشيخ نطرح سؤالاً نحاول أن يكون مدخلنا للحديث
حول المصطلح الأول ... هذا السؤال هو سؤال قديم جديد -
سؤال طرحه الفلاسفة و المفكرون على امتداد التاريخ .. سؤال
يبحث في الغاية .. في الحكمة من خلق هذا الكون ربما يبدو

للبعض أن الإجابة على هذا السؤال سهلة .. لكنها في الواقع ليست كذلك .. نحن نعلم أن الله حكيم وأنه غير محتاج فلماذا خلق هذا الكون . ما هي الغاية التي وجد من أجلها الكون عامة والإنسان خاصة ...

سؤال نعتبره مدخلاً لحديثنا فمرحباً بك سماحة الشيخ و
تفضل بالإجابة على هذا السؤال ...

سماحة الشيخ:

أعوذ بالله من غضبه و من شر الشيطان الرجيم ... بسم
الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الذي هدانا إلى هذا
و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله و صلى الله و سلم على
محمد و آله الطيبين الطاهرين ... محور هذا السؤال الذي
تفضل به جناب الأستاذ بالفعل ظاهره سهل يسير و لكن باطنه
وجوهره عميق سؤال طالما ظل مطروحاً على امتداد التاريخ ... و
طالما تاهت فيه عقول البشر فلاسفتهم و مفكروهم و علماءهم
قبل عوامهم و أدون من ذلك .

قد يكون السؤال تارة عن خصوص خلق الإنسان . و أخرى
عن عموم خلق هذا الكون و وجوده . ابتداءً نحن في إيمان
واضح إن الله - جلا و علا - غني عن الخلق أيّاً كان ..
الصانع حين يصنع شيئاً إنما يصنعه لحاجة أو سد نقص ،

المخترع حين يخترع شيئاً إنما يخترعه أيضاً لوجود حاجة و قد قيل (أن الحاجة أم الاختراع) ، ولو حاولنا (خلافاً لما طلب مني الأستاذ غير مرة) الاستطراد للنظر إلى نظرية الفيض التي هي عمدة أدلة الفلاسفة أو عمدة إجابة الفلاسفة على هذا السؤال ...نظرية الفيض ليست نظرية إسلامية (نظرية يونانية مؤسمة) افترضت أن الله جلا و علا خيرٌ مطلق وأن هذا الكون بجملته خيرٌ مطلق فكان لا بد من صدور هذا الكون ، لا بد من فيض هذا الخير من ذاك الخير ، و ظنوا أنهم بطرح هذه الإجابة أوجدوا الحل و غفلوا عن أن هذا الكلام فيما يعني صدور هذا الكون عن غير إرادة الله - جل و علا - إذ إنك تفترض لا بدية الصدور باعتبار أن هذا الخلق خير مطلق و الله خير مطلق فكان لا بد أن يصدر، إذاً هذه اللا بدية تلجمنا إلى أن الله - جل و علا - كان مجبراً على هذا.

هذه مجرد نظرية و هي عمدة النظريات تبين لك مدى التيه الذي وقع فيه الفلاسفة قبل الناس في الإجابة عن سؤال حائر مبهم و هو لماذا خلقنا ، ولماذا خلق الكون من حولنا قد نجد هذا السؤال ملفوفاً في طلاسّم أبي الماضي على شكل تساؤلات حائرة جئت لا أعلم من أين ؟ ولكنني أتيت و لقد

أبصرت قدامي طريقاً فمشيت و هذا التساؤل الحائر قد نفل عنه .. ولدينا على هذا التساؤل جوابان

الجواب الأول إن صح التعبير هو جواب إفهامي و إسكاتي ... قيل لأمير المؤمنين عليه السلام كم المسافة بين السماء و الأرض ؟ قال دعوة مظلوم ... هذا ليس جواباً حقيقياً ... لأن السؤال يعني شيئاً و الجواب يعني شيئاً آخر ... السائل كان يريد أن يسأل المسافة بمعنى عدد الكيلومترات التي تفصل هذا الكون أو هذه الأرض عن تلك السماء ... لكن بذهنية السائل أجاب بجواب يفحمه فقال دعوة مظلوم ...

نحن إذا أردنا الجواب الإفهامي و الإسكاتي يمكننا أن نقول في الإجابة ما دمننا نعتقد أن الله حكيم ، ما دمننا نعلم أن الله غني عن عباده إذا لم يخلقهم لافتقار ، ما دام الله رحيماً ، فإذا خلقهم ليرحمهم إلى غير ذلك ... بعبارة أخرى نرد متشابه الأمور إلى محكماتها - المحكم في هذا الأمر إن الله حكيم - إن الله عليم إن الله رحيم - خبير لطيف بصير - كل هذا يدعونا إلى الإجابة عن هذا السؤال بالقول (لا يسأل عما يفعل و هم يسألون) ... إذا لم تصل إلى نتيجة ... لو كان سؤالك سيوصلك إلى نتيجة فيها و نعمت لكن إذا لم يوصلك إلى نتيجة لا بد من التسليم ... أن ترد المتشابه إلى المحكم ، لكن الله و

في جملة من الآيات بالنسبة إلى عموم الخلق يقول : { مَا خَلَقَ
اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى }^١
إذاً هناك حق و خروج عن العيشية ، المعبر عنه في آية أخرى
{ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }^٢ أو في آية ثالثة { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }^٣ وفي آية أخرى { وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا }^٤ إذاً هذه الآيات تريد فقط
إن تعطينا جواباً عاماً أن لا عيشية في الكون ... أن هناك حقاً
من وراء هذا الخلق ، أن هناك أجلاً أن هناك حساباً أن هناك
جزاءً بتعبير الآية { وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ }^٥ إذاً هذه
الإجابة تجيب عن كلا الشقين سواءً كان خلق الكون أو خلق
الإنسان ، مجموع الخلق خاضع لنظام الحكمة و خارج عن
نظام العبث { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا }^٦ السماوات و الأرض
ما بينهما ما نعلمه و ما لا نعلمه كله خاضع لنظام الحق

^١ - (٨) سورة الروم

^٢ - (٢٢) سورة الجاثية

^٣ - (١٦) سورة الأنبياء

^٤ - (٨٥) سورة الحجر

^٥ - (٢٢) سورة الجاثية

^٦ - (١٩١) سورة آل عمران

والإنسان جزء هذه المنظومة ، بل جزءٌ صغيرٌ وإن كان مشكلته انه يظنُّ أنه كبير ، هو كبير من جهة ، لكنه لو نظر إلى ضآلة حجمه تجاه هذا الكون الواسع لعرف قدره ، هذا الإنسان يخضع لنفس المنظومة .

القضية كما الكون ، مخلوق لغاية هي غاية حق ، الإنسان أيضاً مخلوقة لغاية هي غاية حق و أن الكون بما فيه الإنسان راجعٌ إلى الله المعبر عنه { وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَأُتْرَجَعُونَ }^١ و المعبر عنها في آية الكون { إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى }^٢ .
إذاً لهذا الكون أجل ولهذا الإنسان أجل ، ولهذا الكون

غاية ولهذا الإنسان غاية ، و المآل الذي يجمع الإثنين)
الكون و الإنسان (هو الرجوع إلى الله جل و علا - إذاً إذا نفينا العبثية من دائرة الاستفهام ، نعود لنتساءل عن خصوص خلق الإنسان لماذا خلق هذا الإنسان ؟ الفلاسفة قالوا إتكاءً على قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^٣ أن الإنسان مخلوق ليعبد الله - جل و علا - لكن أول تساؤل يمكن أن نطرح على هذا الجواب ، و ما حاجة الله لعبادة عباده ؟ يعني

^١ - (١١٥) سورة المؤمنون

^٢ - (٨) سورة الروم

^٣ - (٥٦) سورة الذاريات

أن الله خلقني و إياك لعبادته هل كان — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — بحاجة لعبادتنا ليخلقنا ، بتعبير أمير المؤمنين عليه السلام إن الله خلق الخلق حين خلقهم غني عن طاعتهم آمناً من معصيتهم ، لأنه لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه إذا هذا ليس جواباً إن صح التعبير مفحماً و مسكناً للغاية التي من أجلها خلقنا ، ليست العبادة هي نهاية المطاف ، هي غاية من الغايات ، هنا انتقل الفكر الفلسفي ليجعل من غاية العبودية غاية عبروا عنها بالغاية المتوسطة ، قالوا ما دامت العبادة ليست هي الغاية من خلقنا و جعلناها الغاية المتوسطة ، ما هي الغاية التي تليها ؟ عندنا ثلاث نقاط يمكن أن تفسر لنا الغاية التي بعدها :

النقطة الأولى:

حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية و يقول : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^١ قال : (إلا ليعرفون) إذا بدل الإمام عليه السلام لفظ العبادة إلى لفظ المعرفة فهذا يشير لنا إلى أن الغاية من الخلق ليست العبادة و إنما معرفة الله جل وعلا هذه النقطة الأولى .

^(١) الذاريات آية ٥٦

النقطة الثانية :

الحديث القدسي المأثور أيضاً و إن كان هناك كلام في
سنده [كنتُ كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق
لكي أعرف] هذه أيضاً إشارة إلى أن الغاية من الخلق هي
المعرفة ، الأهم من هاتين الروايتين آية قرآنية هي قوله تعالى
{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} ^١ بضمها إلى قوله تعالى {وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ^٢ يكون الناتج أن العبادة
مقدمة لليقين ، يعني حين تضع قوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ^٣ ثم تقول بعدها {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ} ^٤ إذا صارت العبادة غاية متوسطة المراد منها إيصال
الإنسان إلى اليقين ، و بعبارة أخرى إلى المعرفة و بجعل العبادة
غاية متوسطة و المعرفة واليقين الغاية الأبعد أو النهائية ، ظنوا
أنهم حلوا الإشكال .

^١ (٩٩) سورة الحجر

^٢ (٥٦) سورة الذاريات

^٣ (٥٦) سورة الذاريات

^٤ (٩٩) سورة الحجر

النقطة الثالثة :

[أنا لم تتسن لي الفرصة لضعف الحال و المزاج للبحث]
لكنني وجدت إشارة في أحد الكتب الفقهية لسيدنا الشيرازي
حفظه الله - أشار إشارة عابرة و مع الأسف الشديد لم يجب إلى
أن المعرفة أيضاً لا يمكن أن تكون غاية ، ما حاجة الله
لمعرفتنا ، مثلاً نحن نسأل ما حاجة الله لعبادتي ... أسألك نفس
السؤال ما حجة الله أن تعرفه أنت (كنت كنزاً مخفياً
فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) فهل يضر الله
- جل وعلا - عدم معرفتنا ؟؟ هناك الملحدون والشيوعيون و
الزنادقة عاشوا سبعين سنة و لم يتعرفوا على الله ، ماذا ضر
الله ، لكنهم استمدوا الكثير ، (إذاً ليست المعرفة نهاية
المطاف) و يقول السيد (لا يمكن أيضاً أن تكون المعرفة نهاية
المطاف) إذاً تبقى العبادة غاية و هدفاً من الخلق بناءً على قوله
تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }^١ و تبقى أن العبادة
غاية متوسطة يعني أن هناك غاية بعدها و هي المعرفة { وَاعْبُدْ
رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } (٩٩) سورة الحجر ، لا بمعنى أن العبادة
تتوقف حين يتوقف الإنسان كما فهمها بعض الصوفية .

^١ - (٥٦) سورة الذاريات

سألوا الصوفي لماذا لاتصلي ؟ قال أنا على يقين و الله تعالى قال { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }^١ ، هذا خطأ العبادة يعني أن تعبد ربك حتى تصل إلى تلك الدرجة التي يقول عنها أمير المؤمنين عليه السلام (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً) فتكون أيضاً المعرفة و اليقين غاية من غايات الخلق لكن بعد هذا ماذا نقول (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) و نحن يكفيننا هذا كجواب و يمكن مع تطور الفكر البشري و الفلسفي تأتينا إجابات أخرى في عصور متأخرة.

يكفيننا جواباً أننا خلقنا لنكون عابدين و غاية العبادة معرفة الله و هل هناك هدف أسمى من معرفة الله .

أستاذ بدر

إذا الكون لم يخلق عبثاً والغاية المتوسطة من خلق الإنسان هي العبادة و ال غاية البعيدة هي المعرفة .. إذا تعرف الإنسان على هذه الغاية فهل الله تعالى عندما خلق الإنسان ترك له أن يحدد السبيل أو الطريق الموصل للغاية أو أن الله سبحانه و تعالى حدد بعض الطرق لتوصل إلى هذه الغاية ؟؟

^١ (٩٩) سورة الحجر

سماحة الشيخ

هذه من جملة الأسئلة المهمة أيضاً في مقولة معروفة و قد
تسبب إلى النبي ﷺ و إن كان عندي في النسبة تأمل [1]
الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق [هكذا قالوا ... يعني أنه لا
ينبغي لنا أن نحكر الطريق إلى الله في طريق دون آخر و في
سبيل دون آخر لكن القرآن الكريم يركز لنا في آياته على أن
الصراط إلى الله واحد { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }^١
{ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }^٢ بمعنى أن
هناك سبيلاً واحداً إلى الله جل و علا و ليست سُبُلًا نستطيع أن
نختار منها ما نشاء (السبيل سبيل واحد) و لعل موضوع (و
سد الأبواب إلا بابه) في قضية أمير المؤمنين عليه السلام و حديث
السفينة دليلان أيضاً على أن الطريق واحد هي سفينة نوح من
ركبها نجا و من تخلف عنها غرق و هوى (سد الأبواب إلا
بابه) يعني كل الأبواب التي يمكن أن يتصورها البشر طريقاً
إلى الله ليست طريقاً إلى الله و لا إلى رسوله طريق أمير المؤمنين
و هو أيضاً (رمزي) و ليس أمير المؤمنين عليه السلام كشخصية بل
المقصود أن هناك طريقاً واحداً موصلاً إلى الله و من كمال

^١ - (٦) سورة الفاتحة

^٢ - (١٥٣) سورة الأنعام

لطف الله بعباده أنه لم يتركهم أيضاً سدى في تشخيص الطرق
لماذا ؟ لأن الإنسان بحسب ما يمتلك من أدوات ووسائل لا
يستطيع الاهتداء بنفسه إلى الكمال يمكن يصل إلى مرتبة من
مراتب الكمال لكن مراتب الكمال لا تعد و لا تحصى ،
مراتب الإيمان لا تعد و لا تحصى ، أدنى مرتبة من مراتب
الإيمان لا تقاس بالمرتبة العاشرة و هناك بعض الناس في المرتبة
العاشرة . التاسعة الثامنة مثلما السلم الإداري في الدولة أو في
الشركات الخاصة ، الإنسان مهما أوتي من علم و مهما أوتي
من حكمة أو عقل لا يستطيع لوحده الوصول إلى الله جل و علا
من هنا و أقول مرة أخرى من كمال لطف الله بعباده ، و
رحمته لعباده (ولذلك خلقهم) أن أعطاهم السبل التي توصل إليه
، و أعبر بالسبل لا بمعنى أن هناك سبلاً وإنما توضيحاً للسبيل
الواحد ، و هو ما اصطلح عليه عند علماء الكلام بالهدايات
الثلاث :

الأولى: الهداية الفطرية

التي يشير إليها القرآن الكريم { فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ }^١ لاحظوا قوله تعالى { لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ } { (٣٠) سورة الروم يعني أن الإنسان مهما تبدلت به

^١ - (٣٠) سورة الروم

الأطوار و مهما تاهت به السبل ستبقى هذه الفطرة ملازمة لهذا الإنسان ، قد يصبح الإنسان شيوعياً و قد يصبح زنديقاً و قد و قد ، لكن هذه الفطرة التي أودعها الله فيه تبقى مغروزة من النفس البشرية و الذي ينبغي الإشارة إليه هنا أن مسألة الفطرة ليست مختصة بالإنسان يعني أن الهداية الفطرية ليست من مختصات الإنسان بل هي هداية تعم الخلق جميعاً و ذلك لقوله تعالى {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى }^١ كل شيء خلقه الله ، أعطاه جهازاً هادئاً و هو الفطرة و هي الغريزة التي تسوقه إلى غايته التي خلق من أجلها سواء كان إنساناً أو شجراً أو جبلاً أو حجراً ، هذا ما يمكن أن نصلح عليه بالهداية الفطرية هذه هي الهداية الأولى .

الثانية : هي الهداية التشريعية

المراد منها بعد أن زود الله الإنسان بجهاز فطري ، بتعبير بعض الأحاديث الشريفة الحجة الباطنة بعث إليه رسلاً مبشرين و منذرين و انزل معهم كتب و شرع معهم شرائع لماذا ؟ لسد النقص في الغريزة الفطرية أو الهداية الفطرية ، فالهداية الفطرية بالنسبة لبقية المخلوقات توصلها إلى غايتها

^١ - (٥٠) سورة طه

دون تلكؤ و دون انحراف { وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } { يعني أن كل شيء في الكون يسير بدقة نحو هدفه المرسوم له عبر الهداية الفطرية ، أما الإنسان فهدايته الفطرية تحته نحو الكمال ، لكنها لا تحدد له المصاديق ، ووظيفة الهداية التشريعية أن تعطي تلك المصاديق التي توصل إلى تلك الغاية (العبادة والمعرفة) لاحظوا قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ }^١ ووظيفته { لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } وظيفة الهداية التشريعية أن يبين الرسول بكتاب أو من دون كتاب لل ناس طريق الخير و طريق الشر لكن موضوع الوصول إلى طريق الخير أو الشر ليس عمل الرسول أو عمل النبي { فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }^٢ { فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ }^٣ { فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لِّسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ }^٤ { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }^٥ من هذه الآية نستكشف أن هناك هداية أخرى غير الهداية التشريعية ، لأن المخاطب هنا نبي و قطعاً هذا النبي جاء بهداية ليبين لهم ، فلماذا خاطبه الله تعالى

^١ - (٤) سورة إبراهيم

^٢ - (٤) سورة إبراهيم

^٣ - (٢٩) سورة الكهف

^٤ - (٢١) سورة الغاشية

^٥ - (٧) سورة الرعد

بالقول {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} { يعني لست مسيطراً على طريق الإيصال { وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } يعني أن هناك هداية ارفع من الهداية التشريعية إذا نحن هنا أمام هداية فطرية و أمام هداية تشريعية.

الثالثة : الهداية التكوينية

لو أردنا أن نفرق بين الهداية التشريعية والتكوينية نضرب مثلاً توضيحياً: شخص أتى البلد يسأل عن عنوان بيت فلان ، فإن هناك طريقين للدلالة لبيت فلان ، الطريق الأول أن ترشده بوصف الطريق وقد يصل وقد لا يصل لأنه قد يتبع الوصف و قد لا يتبع ، لكن لو كنت كريماً وطيب نفس و تريد أن تعمل حسنه ، و تقول له اتبعني إلى أن توصله إلى العنوان المطلوب وهنا سيصل بالتأكيد ... الهداية التشريعية قراءة ، دلالة (فذكر) (إنما أنت منذر) (ليبين لهم) لكن التكوينية إيصال إلى المطلوب، توصل الإنسان، و لعلها شعبتين نذكرهما بشيء من الإيجاز .

الأستاذ بدر

إن الإنسان أختص بالهدايتين فوق الهداية الفطرية فباقي الكائنات هداية فطرية و كفى لماذا لم تكن التشريعية

^١ - (٢١) سورة الغاشية

كافية {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} ^١ وهنا الإنسان يبقى باختياره فلماذا التكوينية هنا؟

سماحة الشيخ

السؤال من شقين ؟؟ بالنسبة للشق الأول من السؤال و هو لماذا أعطى الإنسان هداية تشريعية فوق الفطرية ، السبب أن بقية الكائنات اختارت أن تكون مجبرة الإنسان اختار أن يكون مختاراً كما قوله تعالى {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} ^٢ في تفسير هذه الأمانة أنها عرضت على المخلوقات جميعاً : السماوات ، الأرض ، الجبال ، و الإنسان أحد من عرضت عليه هذه الأمانة ، أمانة أن يكون مختاراً في طريق الخير ، أو طريق الشر ، هذا الاختيار فيه امتياز ، امتيازه إما أن يختار الإنسان طريق الخير و يصبح في أعلى عليين !! و أما و العياذ بالله ... يختار طريق الشر فيكون في أسفل سافلين ؟ بتعبير أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل هل الإنسان هو أفضل من الملائكة أم لا قال لا {الملائكة نور (يعني عقل) بلا شهوة ، و الأنعام شهوة بلا عقل } الإنسان مزيج

^١ (١٠) سورة البلد

^٢ (٧٢) سورة الأحزاب

بين العقل و الشهوة فإذا غلب ع قله على شهوته صار أرقى من
الملائكة و إذا غلبت شهوته على عقله صار أدون من الأنعام (بل
هم أضل) لأن الإنسان اختار أن يكون مختاراً ، احتاج أن
يكون بحاجة إلى هداية أخرى تريه الطريق ، لأن بقية
المخلوقات الهداية الفطرية بالنسبة لها موصلة { قَالَ رَبُّنَا الَّذِي
أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى }^١ { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }^٢
{ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }^٣ { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }^٤ كل واحد له طريق
لا يتعداه. { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ }^٥ هذه الآيات كلها تشير أن الهداية
الفطرية كافية لكل المخلوقات لكنها لا تكفي للإنسان ،
فقط مثال أخير : الإنسان يأكل والأنعام تأكل ، حاول أن تجبر
الحيوان على الأكل وهو غير راغب على الأكل هل يأكل ؟

^١ - (٥٠) سورة طه

^٢ - (٤٠) سورة يس

^٣ - (١١) سورة فصلت

^٤ - (٣٣) سورة الأنبياء

^٥ - (٤٤) سورة الإسراء

لكن الإنسان وخصوصاً في رمضان يأكل من كل شيء ومن ثم يحتاج إلى إرادة وهداية تشريعية ، لأن الإرادة الفطرية بالنسبة له ليست كافية كما هي كافية بالنسبة لبقية المخلوقات ، هذا الشرح الأول من السؤال

بالنسبة إلى الهداية التكوينية ... نحن أمام سؤالين إذ لابد أن أضيف إلى سؤالك سؤالاً : الهداية التشريعية أعطت الإنسان طريقة الاختيار لأن وظيفة النبي البيان . {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} ^١ السؤال لماذا أعطى فوق هذا هداية تكوينية ؟

و الثاني ... ألا تتناقض الهداية التكوينية مع مبدأ الاختيار ؟ ونحن قلنا أن الإنسان أعطى الهداية التكوينية لأنه مختار ، و الهداية التكوينية حينما عرفناها بأنها فهل يعني هذا أن الإنسان مكره بالهداية التكوينية على الوصول و بالتالي ينتفي موضوع الاختيار بالنسبة إليه ... الجواب إن من كمال لطف الله بعباده و رحمته أت وهبهم جزاء لاختيارهم ، فهذا الإنسان الذي اختار أن يكون مختاراً ، أن يحمل هذه الأمانة ليس أمراً سهلاً ، الملائكة اعترضت على خلق الإنسان ، لكن الله جل و علا يبين لها بعد أن (علم آدم الأسماء كلها ثم

^١ - (٢٩) سورة الكهف

عرضهم على الملائكة فقال أنبيؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم
صادقين) يبين لها كرم وكرامة بني آدم ... هي من جهة
كمال لطف الله جل و علا و رحمة من الله ... ومن جهة أخرى
جزاء لهذا الإنسان الذي اختار أن يكون مختاراً ، {وَلَقَدْ
كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} ^١ .

السؤال الثاني ... هل ينافي ذلك الاختيار ؟ نقول لا ... لو
عدنا إلى نفس المثال ... مثال السائل الذي سألك عن العنوان
أولاً مالذي ألزمه أن يسألك عن العنوان ، أ أحد أجبره ؟ ... لا ،
هو باختياره جاء و س ألك عن عنوان البيت ، ثانياً لما قلت له
اتبعني .. مالذي أجبره على إتباعك ، و حين وصل إلى باب البيت
بإمكانه أن يطرق الباب و ي دخل و بإمكانه أن يذهب و
يتراجع .

الأستاذ بدر

نريد من سماحة الشيخ إثبات الولاية التكوينية ؟

سماحة الشيخ

هذا بحث مستفيض وعلى حده لكنني أكتفي بنص
للسيد الطباطبائي في سياق الاستدلال على ثبوت الهداية

^١ - (٧٠) سورة الإسراء

التكوينية أو الولاية التكوينية ، الآية الكريمة التي قلناها
{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} ^١ تعني أن هناك
نوعين من الهداية لاشك ولا ريب لكن يمكن أن يقال أنها
يمكن أن تشير الى الهداية الفطرية أو الهداية التشريعية ولا
تثبت لنا الهداية التكوينية التي نحن بصدها ، لكن السيد
الطباطبائي رحمته الله يقول ^٢ (والذي نجده في كلامه تعالى أنه
كلما تعرض لمعنى الإمامة تعرض معها للهداية تعرض للتفسير)
يعني أن الآيات التي وردت فيها لفظ الإمامة دائماً ترادفها و
تتلوها كلمة الهداية ، مما يعني أن الهداية نوع تفسير لمفهوم
الإمامة ، قال تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا
صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} ^٣ لاحظ اللفظين (أئمة -
يهدون) وقال سبحانه {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} ^٤ وأضف إلى ذلك آية لم
يذكرها السيد الطباطبائي {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي
بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً
بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ} ^٥ هذه الكلمة التي جعلها باقية

^١ - (١٧) سورة محمد

^٢ - (٧٣) سورة الأنبياء

^٣ - (٢٤) سورة السجدة

^٤ - (٢٨) سورة الزخرف

في عقبة هي (الإمامة) المشار إليها (فإنه سيهدين) ، و إن لم تذكر كلمة الإمامة لكن ذكرت كلمة الهداية { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }^١ يعني أن الإمامة أيضاً كلمة باقية في عقب إبراهيم نواصل حديث السيد الطباطبائي (ووصفها بالهداية وصف تعريف) يعني أن القرآن الكريم وصف الإمامة بالهداية وصف تعريف، و ليس كذلك فقط، و قد يقال أن النبوة والرسالة قد توصف بالهداية أيضاً وصف تعريف، ثم قيدها بالأمر { يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا }^٢ في كلتا الآيتين مقيدتين بالأمر مبينين أن الإمامة ليست مطلق الهداية النظرية – التشريعية بل هي الهداية التي تقع بأمر الله وهذا الأمر هو الذي بين حقيقته في قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }^٣ إذ هو أمر تكويني ، إذا الهداية المذكورة هي تكوينية ، لأنها واقعة بأمر الله المفسر بقوله تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }^٤ { فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ }^٥ وهذه إشارة إلى

^١ - (٢٨) سورة الزخرف

^٢ - (٢٤) سورة السجدة

^٤ - (٨٢) سورة يس

^٥ - (٨٢) سورة يس

^٦ - (٨٣) سورة يس

الأدلة التكوينية ، و قوله {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ
 بِالْبَصَرِ} ^١ وسنبين في الآيتين أن الأمر الإلهي الذي تسميه الآية
 المذكورة بالملكوت {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ} ^٢ وجه آخر للخلق ، وأن العالم هو عالم الملك و العالم
 الآخر هو عالم الملكوت ... ظاهر العالم هو عالم الملك و باطن
 العالم هو عالم الملكوت ... يواجهون (أي الأئمة) به الله
 طاهرٌ مطهرٌ من قيود الزمان أو المكان خال من التغير و التبديل
 و هو المراد بكلمة (كُنْ) الذي ليس إلا وجود الشيء العيني
 وهو إقبال الخلق الذي هو وجهٌ آخر من وجهي الأشياء في التغير
 والتبديل والتدرج والانطباق على قوانين الحركة و الزمان ،
 يعني أن عالم الملك شيء و عالم الملكوت شيء آخر عالم الملك
 له عوامل تعتريه زمانية و مكانية لكن عالم الملكوت خال عن
 هذه القيود و بالنتيجة فهو حاضر لله جل وعلا وعند الإمام تمام
 الحضور ليس مثلما ننتظر مجيء الغد ليحضر عندك لكن الغد
 و بعد الغد و الأمس و قبل الأمس حاضرٌ نفس الحضور عند الله
 تعالى وعند صاحب الولاية التكوينية ، هذه إشارة أجمالية
 ولعلنا نتوقف إنشاء الله في بحوث قادمة للحديث عن إثبات

^١ - (٥٠) سورة القمر

^٢ - (٨٢) سورة يس

الولاية التكوينية ولكن أريد أن أشير إلى نقطة أخرى مادامت
الولاية التكوينية شعبتين:

الشعبة الأولى:

تطبيق الوحي ، يعني أن الدين حين ينزل أو الكتاب حين
ينزل يحتاج إلى من ينفذه في الخارج وهو الإمام.

الشعبة الثانية :

هي تسلط صاحب الولاية التكوينية على قلوب من اهتدى
بالولاية التشريعية ، من هنا يكون هذا دليلاً على قول الفلاسفة
المسلمين (أعني خصوص الشيعة) الذين قالوا وجود الإمام لطفٌ
إلهي وظهوره لطفٌ آخر ، لطفان في الإمامة ، لقائلٍ أن يقول حين
يكون الإمام حاضر بيننا نستشعر لطفه بإعتبار حضوره
وتماسنا معه لكن ما هو اللطف من إمام غائب (عجل الله
فرجه) مادام صاحب ولاية تكوينية وله نحو تسلط على القلوب
المؤمنة بالهداية التشريعية توصلها إلى المطلوب فمجرد وجوده
لطف بالعباد وان لم يكن ظاهراً فهما هنا لطفان .

الأستاذ بدر

ماهي مواصفات الإمامة ؟

سماحة الشيخ

أن أمر الإمامة أمر خطير سنمر على ذلك بنقاط وكل نقطة بحاجة إلى بحث لكن لضيق الوقت سنمر عليها بسرعة ، لايمكن أيضا أن تعطى اعتباراً { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }^١ للصبر واليقين، الذي هو عنوان لتحمل الأذى وتحمل ما يجري في الكون وكلما ارتفعت درجات الأذى ارتفعت بالتالي درجات الإيمان الصبر واليقين هما الدعامتان اللتان تؤهلا الشخص لاستلام هذا المنصب وهذا أمر ليس له دخل بالنبوة أو الرسالة ، بعبارة أخرى يمكن أن يكون النبي نبياً ورسولاً وإماماً كما في إبراهيم عليه السلام، وكما في النبي محمد ﷺ خاتم النبيين يعني هو نبي ورسول وهو إمام وقد يكون نبياً وليس إماماً ورسولاً ، وقد يكون إماماً غير نبي وغير رسول .

أما ما هي مواصفاته ؟ هي سبعة على الإجمال :

- ١- أن يكون منصوباً ومجعولاً ^٢ مَنْ قَبِلَ اللَّهَ □ ما كان لهم الخيرة □ { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً }^٢ الجعلُ بيد الله وليس بيد أحدٍ من البشر .

^١ - (٢٤) سورة السجدة

^٢ - (٧٣) سورة الأنبياء

٢- العصمة {قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}¹

٣- عدم خلو الزمان على امتداده من وجود هذا الإمام أي صاحب الهداية التكوينية {يَوْمَ نَدْعُوكُ لَأُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}² أي أن كل جيل من الأجيال له إمام من الأئمة {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}³ إذاً لا تخلو الأرض من حجة .

٤- التأييد من عند الله □ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا □ إذا مؤيدون بأمر الله .
٥- أن أعمال العباد ليست محجوبة عنهم.

٦- العلم بكل ما يحتاجه الناس لأنه لا يمكنك أن تطلب هداية إيصالية من إنسان لا يمتلك كل المعلومات التي ترتبط بالناس زماناً ومكاناً.

٧- استحالة أن يوجد في الكون من يفوق صاحب الولاية التكوينية في الفضل أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى}⁴. هذه سبع مواصفات هي التي تميز صاحب الولاية التكوينية و بعبارة أخرى تميز الإمام بعد صفتي الصبر واليقين اللتين جعلته مختاراً بمعنى أن صفتي الصبر واليقين

¹ - (١٢٤) سورة البقرة .

² - (٧١) سورة الإسراء

³ - (٧) سورة الرعد

⁴ - (٣٥) سورة يونس

جعلناه مرشحاً لأن يكون إماماً قال تعالى {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا }^١.

أستاذ بدر

نأتي إلى الحديث عن العولة أو ما سمي بتيه العولة .
نود في هذا المحور أن نتحدث عن العولة من حيث آلياتها و
منافذها ، أيضاً بالنسبة لنا وجهة الرب ط بين هدي الإمامة ، و
تيه العولة و كيف نخرج من هذا إلى ذاك .

سماحة الشيخ

كان من المفروض أن يكون الموضوعان منفصلين لكن
الوقت لا يسمح من جهة و من جهة أخرى أشرت أنا في محاضرة
سابقة إلى مفردات العولة و خصوصاً الثقافية فأكتفي بالإحالة
على تلك المحاضرة لكنني سأضطر أن أشيرو لو إشارة إجمالية
إلى موضوع العولة التيه الذي قلت غير مرة أخشى أن يكون
أكثر من تيه بني إسرائيل إذا كان بنو إسرائيل تاهوا أربعين
عاماً ثم خرجوا من تيههم ، نخشى أن تتيه هذه الأمة و أن تعيش
هذه الأمة تيهها أكثر عمقاً في الزمان ، ما لم تعد إلى هدي
الأئمة .

^١ - (١٢٤) سورة البقرة

بداية أقول كثيراً ما يتهمنا الآخرون بأننا من أصحاب
نظرية التآمر بمعنى أن المتدينين دائماً يعلقون أخطاءهم على
شماعة مؤامرة الآخر حين يفشلون، حين يحبطون، حين لا
يصلون إلى شيء يتهمون الآخر أنه يخطط و يتآمر و بالتالي
السبب ليسو هم في الفشل و إنما هو الآخر هذه التهمة على
إطلاقها ليست صحيحة و أيضاً على إطلاقها المقابل ليس
صحيحاً، يعني ليس صحيحاً أن نقول أن كل أخطائنا معلقة
على مشجب الآخر و شماعته كما ليس من الصحيح أن نقول
أن الآخر أيضاً غافل و ينتظرنا ماذا نفعل، بل الآخر له
مفكره وله منظوره ، و لاحظوا أن تبدل السياسات في العالم
لا يبذل أبداً الموظفين الأساسيين في كل الدوائر ، يعني يمكن
يأتي رئيس و يذهب رئيس تتشكل رئاسة و تذهب رئاسة ،
أقصد العالم الآخر (الغرب) لكن الموظفين الذين يعتمد
عليهم هذا العالم غير قابلين للتغير في كل الوزارات أو
الرئاسات .

اللمحظة الثانية أن الآخر كان يواجهنا مباشرة و بالتالي
كنا نستشعر المستعمر يوم كان المستعمر يحتل بلادنا في مصر
و في ليبيا و فلسطين و الشام .

كان الفرد المسلم يستشعر أنه محتل أنه مهدد ، وأن دينه في محل خطر لكن اليوم هناك تفنن في أساليب استعمار الغرب لنا ، وتفرن في طرق إغوائنا قد نستشعره وقد لانستشعره ، وهنا مكنم الخطر ، أما السؤال الذي تفضل الأستاذ بطرحه وهو الآليات والمنافذ سأجيب عنه بشقين : الحديث الأول عن الآليات ، والحديث الثاني عن المنافذ ، أيضاً في خلال دقائق معدودة أشير إليه أيضاً أخطر آليات العولمة و ما أشرت إليه في تلك المحاضرة ، و ال - تي لم أوفق في شرحه وهو (استلاب الذات) للدكتور علي شريعتي قبل ثلاثين سنة كتب كتاباً هو من أجمل الكتب التي ترجمة إلى العربية بعنوان (العودة إلى الذات) و لسنوات متعددة كان من أكثر الكتب مبيعاً في معرض الكتاب في القاهرة ، و هذا الكتاب يتحدث عن هذه النقطة ، عن خطر استلاب الذات و دعوة إلى العودة إلى الذات ، يعني أن الخطر الأساسي الذي يهدد كل أمة أن تسلب ذاتها ، يعني لا تكون لها ثقافة مميزة ، لا تكون لها حضارة لا يكون لها فكرٌ مميز لا يكون لها ما يميزها لا لون لا طعم ولا رائحة كل أمة من الأمم و كل حضارة من الحضارات لها ما يميزها ، الحضارة الهندية لها ما يميزها ، والصينية لها ما يميزها ، والذي يميز هذه الأمة هو دينها و موروثها و ثقافتها ، الرماد هو

استلاب هذا التميز بحيث نعود شيئاً منسجماً لأننا لن نستطيع أن نجاري الغرب ، أو نسلك سلوكهم.

الخطورة الثانية تغيير الأنماط السلوكية للمجتمعات ، هذه من تلك لكنها مفردة خاصة ، استلاب الذات في العموم يستلب الفكر والثقافة لكن هذه فوق ذلك تسلبك نمطك الحياتي ، يوم من الأيام في تركيا و إيران و أفغانستان ، ثلاثة من حكام هذه البلاد قرروا أن يغربوا هذه الب لاد [أمين خان في أفغانستان - أتاتورك في تركيا - رضا شاه في إيران] أول شيء بدأ فيه ثلاثتهم تغيير اللباس و وقتها رضا شاه بنفسه ذهب إلى السيد (البروجروي) و كان المرجع الأعلى آنذاك و أهدها بدلة إفرنجية و أمره أول من يلبس هذه البدلة و منع ارتداء القبعة الإيرانية و العمامة و بالنتيجة فالعمامة رمز ديني و القبعة رمز وطني و استبدله بالقبعة الأمريكية

الخطورة الثالثة منع لبس الحجاب (السيد كاظم

المدرسي) ذكر لي أنهم عاشوا عشر سنوات في ظل منع الحجاب ، الأسر المتدينة لم تخرج المرأة من البيت مدة عشر سنوات ، فتحو منافد بين البيوت و صارت الشوارع داخلية حتى النساء يتقلن ولا يشعرن بالضيق لا يخرجن للشارع العام صارت عندهم طرق بين البيوت ، كل جار فتح في سور البيت

باب يؤدي إلى البيت الآخر إلخ فصارت الشوارع للنساء داخلية، هذا عندما عاش آنذاك، ولكن هذا الموضوع لم ينجح في إيران في رحاب وجود مرجعية قوية، نجح في تركيا، اللغة التركية كانت تكتب بالأحرف العربية واليوم باللاتينية، و المشكلة أننا لا ندرك ماذا وراء عبادان يعني نحن عندنا الموضة ما هي نمضي وراءها، بالنتيجة كل يوم نمط في الحلاقة في اللباس في الأسماء نمط الأكل والشرب نحن في الوقت الراهن ابتلينا بالوجبات السريعة ونسينا أنماط المعيشة الأولى، هذا معناه ألا نتساهله، أنت لابس بدلة إفرنجية، وقصة الشعر (كابوريا) تحمل مسبحة معك وخاتم عقيق، الصورة إما أن تقبل كاملة أو لا تقبل، فهو الغرب يريد أن يجرك إلى ذلك إلى نبذ المسبحة أو الخاتم العقيق، مع احترامي لكل من يلبس دبلة، تفاجأ ليلة زواجك أن تخلع الدبلة من اليد اليمين إلى اليسار كل هذا من الغرب، وحفلات العقد والخطوبة، الكوشة، كلها أنماط سلوكية المراد منها تغيير الثقافة، لكن كيف يبدأ التغيير الثقافي بتغيير اللبس والأكل بينما المجتمعات التي حافظت على ثقافتها فيما حافظت على لبسها وأكلها وشربها، الصيني أينما يذهب يلبس صينياً، والهندي كذلك لأنه معتز بقوميته، معتز بثقافته، وأينما يذهب يرى

المطعم الصيني أو الهندي، لكن نحن بمجرد أن يسافر الواحد في الطائرة يخلع لباسه وعيب عنده أن يلبس غترة لأن الهوية عنده ليست متمكنة، ولا يعتبر هذا من باب المحافظة على الهوية...هاتان نقطتان بالنسبة للآليات أما المنافذ أقولها نقاطاً فقط .

١- الإعلام منفذ رئيسي و خصوصاً التقنية الفضائية أول ما كنت تتعلمه حينما كنت صبياً (الإثني عشر) و كنت تعتبرها جزءاً من الصلاة ، أما اليوم الطفل أول شيء يتعلمه المسلسل الفلاني أو الممثل الفلاني قضايا أصبحت حياتنا، الإعلام غزانا في بيوتنا ، الاستعمار للجميع ، يعني إذا كانت هناك نخبة تذهب إلى أمريكا و فرنسا و تأتي مشبعة بالثقافة عن طريق الفضائيات ، واحدة من قريباتي أرادت أن تتزوج فراحت تبحث عن فستان عرس محتشم لكي تتجو من قول أنها لم تلبس فستان عرس و من جهة أخرى يكون مناسباً لكونها متدينة ، طافت الأسواق طويلاً بعرض ما وجدت فستاناً يناسب، بخلاف الموضة ما تريد هي.

٢- الإنترنت و ما إدراك ما الإنترنت، أنا هنا أحذر تحذيراً شديداً و شديداً منه لأنه لا يكاد يمر علي أسبوع أو أسبوعان إلا و أسمع قصة لفتيات مع الأسف بل متزوجات إبتدأن

الانحراف عن طريق الإنترنت، تريد أن تأتي بشيء إلى بيتك من باب مجارة العصر ، بالنتيجة منفذ من منافذه عليك أن تراقبه راقب نفسك أولاً ، الإنسان حتى هو يخاف منه ، الإنترنت خطرٌ من الأخطار على فوائده الجمة ، فإذاً هو منفذ من منافذ العوالة.

٣- السفر منفذ من منافذ العوالة يوم من أيامنا لم يكن يعرف آباؤنا أو أجدادنا غير تلك الرحلة الوحيدة المعروفة بتلك الباصات المعروفة ومن كريلاء إلى النجف ، ال كاظمية ، سامراء ، دمشق ، مشهد و هو عائد و هذا آخر التطور ، اليوم ألف وألف منطقة فتحت للسفر و السفر يتبعه سفر ، يستتبعه ثقافة و احتكاك بالمجتمعات و التعرف على ثقافات .

٤- بعض الدعوات التي ملمسها لين و باطنها خبيث و العياذ بالله كلمة حق يراد بها باطل ، دعوات تحرير المرأة كلام جميل ولكن مالذي وراءه ، دعوه إلى تقدم عصرنا ، دعوة إلى أن الدين ليس بالإكراه ، دعوة إلى العصرية ، كلمات كلها جميلة و تستقطب جيلاً من الشباب لكنه لا يدري ما الذي يقف حول هذه الدعوات ، علينا إذاً أن لا نغتر بظاهر الكلمة كما قال أمير المؤمنين (كلمة حق يراد بها باطل)

هذا هو تمام الحديث ولم يعد الوقت كافياً للحديث عن المحور الثالث ، يعني ما هو الحل ؟.

في نهاية هذا الحديث أو نهاية هذا الندوة نشكر سماحة الشيخ على تفضله للإجابة على أسئلتنا رغم الوعكة الصحية التي يمر بها وهي وعكة لازمة (أبدية) كما نشك ر القائمين و نشكركم جميعاً و صلى الله وسلم على محمد و آل بيته الطيبين الطاهرين .